الفصل السادس

الآية ٥٩ من سورة النساء تنفي وجود أئمة معصومين معينين من قبل اللّه عز وجل لحكم المسلمين

صدمني قول علماء الشيعة إن إنكار الإمامة سبب للخلود في النار، وإن منكر الإمامة على حد الشرك بالله، وأن "الامامة ترتقي أكثر لأن تكون من أساسيات الدين كالتوحيد والنبوة ، فكما أن من لم يؤمن بالله أو النبي ﷺ لا يكون مؤمناً كذلك من لا يؤمن بالإمام".

صدمتني هذه الأقوال وعندما بحثت في أمرها ودرست أدلتها، وجدتها مخالفة بشكل صريح لما جاء في الآية ٤٨ من سورة النساء التي يبين فيها الله عز وجل، بعبارات لا غموض فيها على الإطلاق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾.

ثم إنني وجدت في سورة النساء آية أخرى تنسف أقوال علماء الشيعة الإثني عشرية من الأساس.

وجدت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾. (النساء: ٥٩)

تدل هذه الآية على وجوب طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، ثم طاعة أولى الأمر "منكم"، أي من المؤمنين، فإذا حصل اختلاف وتنازع بين الناس، وبين الحكام والمحكومين، تأمر الآية الجميع بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فهما المرجعية العليا لجميع المؤمنين، إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

ولو كان الأئمة معصومين، ومعيّنين من قبل الله عز وجل، وأحياء من وفاة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، كما يقول علماء الشيعة بتأكيدهم أن الإمام الثاني عشر حي يرزق منذ أكثر من ألف عام، لو كان الأمر كذلك لما كان هناك داع لأمر المسلمين بالاحتكام عند التنازع إلى الكتاب والسنة، بل لما نشأ تنازع أصلا، مادام المسلمون يؤمنون بوجود الإمام المعصوم المعين من الله تعالى قيّما على الدين ومفسرا لأحكامه.

إذا كان لقب "الذين آمنوا خاصا" بالشيعة

فكيف يقوم الخلاف أصلا بين المؤمنين والأئمة المعصومين؟

وهناك مسألة أخرى مهمة للغاية. هي أنَّ علماء الشيعة يرون أن الخطاب في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" موجه للشيعة وحدهم،

للمؤمنين بولاية علي ﷺ والأئمة المعصومين عند الشيعة من بعده. وبذلك يخرج منه غير الشيعة، المؤمن عند الشيعة هو المؤمن بولاية أهل البيت، فقط لا غير، وبقية المسلمين لا يطلق عليهم لقب المؤمن.

عند الشيعة كما سبق أن نقلنا من مركز الأبحاث العقائدية: "من لم يؤمن بالإمامة هو شخص جاهلي ، أي : على الحالة التي كانت قبل الاسلام ، وهذا يوافق الآية ٥٥ و ٥٦ من المائدة التي تلزم المؤمنين بتولي الله والرسول والذين آمنوا الذين تصدقوا في الركوع وأن من لم يتولهم يخرج من حزب الله إلى حزب غيره ، وهو الشيطان ، فيكون ميتاً على جاهلية كأن لم يؤمن بالله وبرسوله". وعندهم: "الامامة ترتقي أكثر لأن تكون من أساسيات الدين كالتوحيد والنبوة ، فكما أن من لم يؤمن بالله أو النبي ﷺ لا يكون مؤمناً كذلك من لا يؤمن بالإمام". (الرابط لطباعة الجواب في شبكة الإنترنت:

http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=75&qid=1452)

إذا قبلنا أقوال الشيعة بأن الخطاب في الآية ٥٩ من سورة النساء موجه فقط للمؤمنين بولاية أهل البيت، وأن أولي الأمر في الآية هم الأئمة المعصومون، فكيف يستقيم - منطقياً - أن تشير الآية إلى إمكانية التنازع بين المؤمنين الشيعة وأئمتهم المعصومين؟

وكيف يستقيم - منطقياً - أن تأمر الآية المؤمنين بالاحتكام إلى الكتاب والسنة في حالة التنازع بينهم، والإمام المعصوم قائم بينهم، وهو كما يقول الشيعة القيم على الدين والحجة المطلقة في كل شيء.

واضح جدا أن الأمر لا يستقيم، وأن علماء الشيعة خالفوا بشكل واضح منطوق الآية الكريمة ٥٩ من سورة النساء، وأخطؤوا فيما ذهبوا إليه من اعتبار الأئمة والحكام معينين من قبل الله عز وجل، ومعصومين لا يخطئون.

وواضح جدا أن الآية الكريمة لا تخاطب الشيعة وحدهم ولا تتحدث عن أئمة معصومين؛ لأن الآية تخاطب المؤمنين برسالة محمد ﷺ، أي المسلمين في هذا السياق، تعلمهم أن الحاكم ليس صاحب سلطة مطلقة فيهم، وإنما هو أيضا خاضع لحكم الشريعة، وبعبارة حديثة للدستور وحكم القانون، فإذا حصل تنازع بين المسلمين، أو بينهم وبين حكامهم، فإن عليهم العودة للدستور، للمرجعية العليا، وهي الكتاب والسنة، إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

"ذلك خير وأحسن تأويلا".

سورة الشورى تؤكد عدم عصمة الأئمة

ومما يؤكد هذا المعنى الشوري العظيم في القرآن الكريم، ما جاء في سورة الشورى في معرض المدح للمؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾. (الشورى: ٣٨) ومعنى الآية واضح في أن من سمات المؤمنين الصالحين إدارة شؤونهم العامة عبر الشورى.

ولو كان أمر المسلمين موكولا إلى حكام معصومين من وفاة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة لما كان لهذا المدح مسوّغ. إذ ما محل الشورى من الإعراب إذا كان الحاكم معصوما لا يسأل عما يفعل؟

وهكذا خلصت إلى أن الآية ٥٩ من سورة النساء تنسف أقوال علماء الشيعة في الإمامة من الأساس.

ووجدت أيضا أن أقوال الشيعة في الإمامة تتضارب مع ما جاء في الآية ٣٨ من سورة الشورى.